الشمع المحترق

قصة عراقية

بقلم : علي الأسعد

السحب الرقاء تتعانق بين أحضان غرفته ، فتتشبع برائحة الشمع المحترق والأفكار تتراكم في رأسه دون أن فهو دائم التحليق في اللا واقع ، باحثا بيمناه بالخيط الأول منها تبحر به الى شطآن العيون المسربلة بالخيال الشفاف باعثة فيه النشوة واللذة . فهو دائم التحليق في اللاواقع ، باحثا عن حياته التي يعيشها في الأحلام فقط .

اعقاب السجائر تملأ المنفضة البيضاء المزخرفة ... دون أن يحس أو يشعر كم من الوقت قد مر عليه وهو في مكانه لم يغادره كأنما شد اليه شدا ، ان رأسه الملقى على الوسادة بدأ يتحرك في نواح عدة ... أحد يجيل نظره في أثاث الغرفة .. الراديو الكبير ينبعث موسيقى رتيبة صاخبة ولكن دون أن تحرك فيه ذرة واحدة من جسده .. المروحة المحور تصرخ في ابن مكتوم .. الكتب والمجلات تتناثر على ارض الغرفة بلا ترتيب كأنه اعتاد ذلك .

ما هذه الأفكار التي أخذت تغزو تفكيره ... ؟ .. منذ أيام وهو يشعر بشيء جديد يطغى على كيانه دون أن يجد أي تفسير له .. كلما أراد أن يطرح بضعة أسئلة واحتلط تفكيره وعاوده الخوف والوجل خشية من أن يكون في تساؤله مايدعو الى الهزء والسخرية منه .. فهو يذكر جيدا ماحدث له في أيام بعيدة خلت ... حينما وقف أمام المرآة يطيل التحديق في وجهه .. انه لايدري لماذا شعر براحة حينما طالعه وجهه الحزين ، ودقنه العريضة ، وعيناه الواسعتان كبحيرتين عميقتين .. وشعره الكستائي المجعد .. لم يقر كم طال وقوفه ذاك .. انسا الذي يدريه انه سمع اباه يقول له « ها ابني .. أنوقك واكف اكيال المراية لساوع لعسك » .. ولم يقل شيئا ، سوى انه ارتبك قليلا واحمر وجهه .. انه لا يزال يشعر كيف كان وجهه يلتهب والدماء الحارة تكاد تشق جلده وتخرج .. ثم استطرد والده « يابه امت قابل السبيه حتى توكف كمال المراية كل هالمده .. ها .. ها .. ها » .

انه يذكر جيدا هـــذه القهقهة التي جعلته يتكمش على نفسه حتى شعر انه يذوب شيئا فشيئا ، كأي شيء حقير .

وضرب بقبضتـــه على السرير بقوة وقســـوة ضربات سريعات متـــوالية .. كأنما يحاول بذلك ضرب والده .. دون أن يدري .

انه يعـــرف الآن كيف كان محـــط السخرية الدائمة من قبل والده يشيره دائما سواء كان ذلك أمام اخوته أم أمام الاصدقاء والزوار .. مما جعله يتمنى الموت كي يخلص من هذا العذاب الذي يرهقه ويجعله غير قادر على أن يتنفس حياته .. وبحرية .

لقد شعر منذ ذلك أن خير ما يفعله هو أن يبتعد عن الجميع دون أن يجعلهم يعلمون مابه .. فهجر مجالسهم على كره منه أو مضض .. انه لصعب حقا أن يهجر الانسان مرابع طفولته ويحاول نسيانها .. ولكن القوة الخارجية فائقا ماتدفع المرء الى أن يهجر نفسه أيضا اذا شعر ان ذلك يؤدي به الى الراحة .. ولكن أين هي الراحة التي يبتغيها ؟ فلم يحصد سوى القلق والتيه في هذا العراء الهائل .. ان الالوان فقدت تأثيرها عليه .. حتى العتمات أصبحن مجرد خيال يمر عليه دون أن يتمتع به .

وها هو الآن ، بعد مضي أربع سنين لايزال يعاني الضياع .. مأساة وجوده التي خلقت معـــه دون أن يكون لديه شيء .

ترى مانهاية الحياة .. ؟ .. ومادا وراءها ؟ .. هـــل صحيح مايقـــال ان الموت ماهو الا طريق لحيـــاة جديدة تعود فيها .. ؟

آه .. ان الآلام تـــكاد تحرقني .. تجعلني شيئا تافها في حجـــم هـــذا الوجود .

سكت محدثي . ثم حدق في وجهي من خلال السحب الزرقاء التي تخرج من فمه حتى احدثت تملأ الغرفة من جديد .. فيها رائحة التبغ المحترق .